النصائح الذهبية

نصائح غالية وإرشادات سامية

لمؤلفه راجي عفو ربه

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل سليم

١٤١٢هـ

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

فسح الإعلام ـ مكة المكرمة

رقم ١١٤١ /م بتاريخ ١٨ /٩ /١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فإياه نعبد وإياه نستعين ، ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه منا من أمر الدنيا والدين ...

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وأمينه على وحيه ، فهو الصادق الأمين ختم الله به الرسالة ، وأتم به النعمة وأكمل الدين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأنصار منهم والمهاجرين ومن تبعهم واهتدى بهديهم فكان من العاملين المخلصين ..

أما بعد ، فهذه أبيات نفيسة ونصائح قيمة هي خاتمة نظم الإمام العلامة محمد بن عبد القوي المرداوي

الدمشقي الحنبلي ، الذي نظم به مقنع الإمام الموفق ابن قدامة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله اخترتها فأفردتها لاشتمالها على نصائح قيمة ترشد من أراد الله به الخير إلى فلاحه وسعادته الأبدية لأنها مستمدة من المعين الصافي .. وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعت عليها بعض التعليق من ذكر بعض الأدلة ومن تبيين بعض المعاني وشرح بعض الألفاظ الغريبة ، وسميته « النصائح الذهبية وهي نصائح غالية وإرشادات سامية » راجياً المولى أن ينفع بها وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز بجنات النعيم . قال الناظم رحمه الله :

(فَكَابِدْ إلى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا
وكُنْ فِي اقْتِبَاسِ العِلْمِ طَلَّاعَ أَنْجُدِ

كابد أي تحمل المشاق والمتاعب إلى أن تدرك ماتصبو إليه وتعرف ماخلقت له ، قال الله تعالى : ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ، ولتعلم أنك لم تخلق لعمارة الدنيا ولا للخلود فيها والعكوف على شهواتها وليس معنى ذلك أن تخلد إلى الكسل وتترك

طلب الرزق ، بل يجب عليك أن تتطلبه من أبوابه المباحة ، تطلبه لنفسك ومن تمونه ، وذلك عبادة وهو من الجهاد إذا قصد به وجه الله والإستعانة به على عبادته ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص « وأعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ماتجعله في في آمرأتك » . الحديث . هذا مع أن نفقة الزوجة واجبة لا محيص عنها .

ففضل الله عظيم إذا أخلص العبد النية انقلبت عاداته عبادات .. فالموفق أعماله في نمو وزيادة على الدوام ، والغافل يفوته خير كثير . وكن حريصاً مكباً على الخير وطلب العلم . طلاع أنجد . أي صاعداً إلى أعلى درجاته . الطلوع والصعود بمعنى واحد . أنجد جمع نجد وهو المرتفع . جعل الحرص على طلب العلم بمنزلة صعود المرتفعات .

قال شيخ الإسلام رحمه الله . العلم بذاته شريف والنافع منه ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ماأرشدك وهداك إلى سعادتك الأبدية التي ليس لها انقطاع ولا زوال ، وفقنا الله إلى مافيه رشدنا وصلاحنا

وسعادتنا في ديننا ودنيانا .

(وَلاَ يَذْهَبَنَّ العُمْرُ مِنْكَ سَبَهْلَلاً
وَلاَ تُغْبَنَنَّ النِّعْمَتَيْنِ بَلْ إجْهَدِ)

أي لا يذهب عمرك ويمضي سَبَهْلَلاً أي سدى بلا فائدة ولا تغبنن النعمتين لعله أراد نعمة الصحة ونعمة الحياة ، كما جاء في الحديث .. خذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك . الحديث . بل أجهد أي اجتهد في طلب ما ينفعك واجتناب ما يضرك .

(فَمَنْ هَجَر اللَّذَّاتِ نالَ المُنى وَمَنْ
أَكَبَّ على اللَّذَّاتِ عَضَّ عَلَى اليَدِ)

لذات الدنيا كلها نكد وتنغيص ، وعاقبتها الزوال العاجل ، فما يمر عليك في يومك لا يعود في غدك ، فمن هجرها ابتغاء مرضات الله عوضه الله خيراً منها ، وطابت نفسه ، واطمأن قلبه ، ومن أكب عليها وترك ما خلق لأجله ندم حين لا ينفعه الندم . قال تعالى ﴿ **أن تقول نفس ياحسرتي على مافرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الخاسرين . أوتقول لو أن الله هداني**

لكنت من المتقين ، أوتقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ . وقال تعالى ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . ياويلتىٰ ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾ .

فَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِزَازُهَا
وَفِي نَيْلِهَا مَاتَشْتَهِي ذِلُّ سَرْمَدِ

النفس طموحة إلى الشهوات واللذات ، كسولة عن الطاعات وفعل الخيرات ولكن في قمعها عن رغبتها عِزُّها وفي تمكينها مما تشتهي ذِلُّها فمن وفق لقمعها نال المنى ، ومن أرخى لها العنان أَلْقَتْ به إلى سبل الهلاك والردى . قال تعالى : ﴿ **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ . وقال تعالى ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾ وهذا أمر مشاهد بأن المُتْبَعَ لنفسه هواها لا بد أن تكون نفسه مهينة ليس لها رغبة في طلب المعالي

وبضده من وفق لزجرها وأخذ بزمامها وقادها إلى مافيه الخير والصلاح ، والتوفيق بيد الله وهو الهادي إلى سواء السبيل .

(فَلاَ تَشْتَغِلْ إلاَّ بِمَا يُكْسِبُ الْعُلَى
وَلاَ تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيْسَةِ بِالرَّدِى)

إذا كنت ذابصيرة تامة وهمة عالية فلاتشتغل إلابمايعود عليك نفعه وتحمد عاقبته من الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة التي تنال بها أعلا الدرجات ، ولاترض لنفسك إن كانت نفيسة عندك عزيزة عليك بالردي أي بالأخلاق السافلة والأعمال القبيحة والخصال الذميمة .

(وَفِيْ خَلْوَةِ الإنْسَانِ بِالْعِلْمِ أُنْسُهُ
وَيَسْلَمُ دِيْنُ الْمَرْءِ عِنْدَ التَّوَحُّدِ)
(وَيَسْلَمُ مِنْ قِيْلٍ وَقَالٍ وَمِنْ أَذَى
جَلِيْسٍ وَمِنْ وَاشٍ بَغِيْضٍ وَحُسَّدِ)

إذا رغب الإنسان في العلم وكان حريصاً عليه فإنه يأنس به وكلما تعلم شيئاً وأتقنه زاد رغبة وسروراً

وطموحاً وطمعاً في تعلم ماهو أرقى وأعلا فهذا دأبه في كل أوقاته ومع بهجته وسروره وتحصيل ماينفعه يسلم مما يضره في دينه والخلوة أنفع سبب لذلك ويسلم من قيل وقال ومن مجالسة من لاتحمد مجالسته .

(فَكُنْ حِلْسَ بَيْتٍ فَهُوَ سَتْرٌ لِعَوْرَةٍ
وَحِرْزُ الفَتَى مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُفْسِدِ)

هذا في زمان الناظم فيكف بزماننا أجارنا الله من كل سوء فكن حلس بيت أي ملازماً له ففيه السلامة من جميع الشرور . وهذا حتماً في غير أوقات الحاجة إلى الخروج لصلاة وكسب رزق وجميع مايحتاج إليه . قال في الصحاح وأحلاس البيوت مايبسط تحت الحر من الثياب وفي الحديث (كن حلس بيتك) أي لاتبرح .

(وَخَيْرُ جَلِيْسِ الْمَرْءِ كُتْبٌ تُفِيْدُهُ
عُلُوماً وَآدَاباً وَعَقْلاً مُؤَيِّدِ)
(وَخَالِظْ إذَا خَالَطْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ
مِنَ الْعُلَمَآءِ أَهْلِ التُّقَى وَالتَّسَدُّدِ)

(يُفِيْدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَنْهَاكَ عَنْ هَوىً
فَصَاحِبْهُ تُهْدَى مِنْ هُدَاهُ وَتَرْشُدِ)

وإذا أردت المخالطة فالزم مخالطة الأخيار من العلماء الصالحين ... العاملين بعلمهم لإرشاد أنفسهم وإرشاد غيرهم الذي هم أهل التقى والسداد فبمخالطتهم تحصيل الخيرات واندفاع الشرور والمكروهات فتستفيد من علمه وصلاحه وتهتدي بهداه وترشد برشده ، وينهاك عن هواك ويبين لك طريق الخير والفلاح ويحذرك عن الطرق الموقعة في الهلاك .

قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ الجليس الصالح كحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه رائحة طيبة وَمَثَلُ الجليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة خبيثة» ومن المولى الهداية والتوفيق .

(وَإِيَّاكَ وَالْهَمَّازَ إِنْ قُمْتَ عَنْهُ والْبَـ
ـذِيَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ بالْمَرْءِ يَقْتَدِي)
(وَلاَ تَصْحَبِ الْحَمْقَى فَذُو الْجَهْلِ إِنْ يَرُمْ
صَلَاحاً لِأَمْرٍ يَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدِ)

الهماز العياب الطعان الذي لاهم له إلا عيب الناس والطعن فيهم في غيبتهم والبذي بِضِدِّه يعيبهم ويطعن فيهم في حال حضورهم ، وكذلك الأحمق لاخير فيه ولا في صحبته إذا رام صلاحاً لأمر أفسده بجهله وحمقه .

(وَخَيْرُ مَقَامٍ قُمْتَ فِيْهِ وَخَصْلَةٍ
تَحَلَّيْتَهَا ذِكْرُ الإِلَهِ بِمَسْجِدِ)
(وَكُفَّ عن الْعَوْرَا لِسَانَكَ وَلْيَكُنْ
دَوَاماً بِذِكْرِ اللهِ يَا صَاحِبِي نَدِ)

خير مانطق به اللسان ذكر الله وخير الأماكن وأفضلها بيوت الله فإذا اجتمعت للإنسان حصل له الخير الكثير ونجا من الشر المستطير وفاز بكل مطلوب وأعظم ذلك أنه يتحلى بالإيمان .

قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» فإن الله يقول ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله** ﴾ . فهذه

الخصال المذكورة في هذه الآية هي أعلا أنواع الذكر فمن وفق للقيام بها فقد حصل له هذا الوصف العظيم .

فالإيمان بالله هو الإنقياد التام لأمر الله واجتناب نهيه والإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بوعد الله من البعث والجزاء على الأعمال ، وإقامة الصلاة الاتيان بها على الوجه الأكمل ولهذا عبر بـ (أقام) ولم يقل فعلها أوأتى بها . وكل ما في القرآن هو التعبير بإقامتها إما بلفظ الأمر (كأقم الصلاة) (أقيموا الصلاة) أو بلفظ المضارع كـ (يقيمون الصلاة) أو بلفظ الماضي كـ (أقام الصلاة) فلا تجد لفظة (فَعَلَ أوتى أوأدّى) في القرآن أبدا ومعنى إقامتها هو الإتيان بها بخشوع وخضوع للمولى جلّ جلاله ، وإتمام لأركانها وواجباتها وسننها ، فإن المصلي واقف بين يدي ربه يناجيه فليستحضر عظمته وجلاله . والصلاة مشتملة على أنواع من الذكر من تكبير وتعوذ وقراءة وتسبيح ودعاء ، فمن قام بها على الوجه الأكمل وبالثناء على الله بما هو أهله فقد أتى بأعلا أنواع الذكر . وبالله التوفيق .

وأما العوراء فكل شيء فيه عار ومنه الكلام

الفاحش والساقط الذي لا خير فيه كما في الحديث (كم كلمة قالها ليضحك بها القوم يهوى بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وفي حديث أبي هريرة .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) متفق عليه .

وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ في الحديث المشهور وفيه فأخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك هذا قلت يارسول الله وإنا لمؤآخذون بما نتكلم به قال ثكلتك أمك يامُعَاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ..

فإذا وفقت وكففته عن العوراء فألزمه ذكر الله في كل وقت . قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله وهذا معنى قول الناظم (وليكن دواماً) البيت .

(وَحَصِّنْ عَنِ الْفَحْشَا الْجَوَارِحَ كُلَّهَا
تَكُنْ لَكَ فِي يَوْمِ الْجَزَا خَيْرَ شُهَّدِ)

أعظم الجوارح كلها خطراً على الإنسان اللسان والفرج . قال صلى الله عليه وسلم من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة . وقد تقدم الكلام على اللسان في البيت السابق . وأما الفرج فهو جارحة تدفع الإنسان إلى الوقوع في الحرام والمهلكات بسبب قوة الغريزة الجنسية وضعفها ، ويُغَذِّي هذه الغريزة التمادي في المأكولات والملذات والإخلاد إلى الراحة والبطالة ، فيفكر فيما ينفذ فيه شهوته الحاضرة من غير أن ينظر إلى الحسرة التي تعقبها عاجلاً وآجلاً ، وبالأخص ضعيف الإيمان فيرسل طرفه خيالاً أو حقيقة فتدفعه الشهوة إلى طلب الوسيلة التي توصله إلى وضعها في أي موضع كان والشيطان يطمع فيه في تلك الحال فيتسلط عليه ويأزه إلى الوقوع في الهلاك ، ومن أعظم الوقاية من ذلك قوة الإيمان بالله والخوف من عقابه والرجا لثوابه ، وكثرة الصيام مع التقليل من الأكل واللذة بحسب الإمكان لقول النبي صلى الله عليه وسلم . يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم

يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . والباءة هي مئونة الزواج .

ومن أسباب الوقاية أيضاً الأعمال التي يكون فيها سلوة للإنسان وتشغل فكره عن التفكير في هذه الأمور الدنيئة فيحصل له في عمله مصلحتان دينية ودنيوية ، وذلك كله بتوفيق الله وإعانته .

وكف عينيك عن النظر المحرم ويديك عن البطش الآثم ورجليك عن المشي إلى الحرام تكن هذه الجوارح خير شاهد لك يوم الجزاء يوم العرض على الله يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من

الخاسرين . وأما الفحشاء فهي كل خصلة ذميمة تنفر منها أهل العقول السليمة وترغب فيها النفوس السافلة المهينة حمانا الله منها .

(وَوَاظِبْ عَلَى دَرْسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ
يُلَيِّنُ قَلْباً قَاسِياً مِثْلَ جَلْمَدِ)

القرآن كلام الله أنزله على أفضل أنبيائه وخاتمهم صلى الله عليه وسلم ليذكر الخلق به ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويحذرهم من سلوك طرق الجحيم . قال تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آيانه وليتذكر ألوا الألباب** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ فيتذكر به من وفقه الله حتى أهل القلوب القاسية تلين قلوبهم إذا سمعوه وأراد الله هدايتهم فلو أنزل على حجارة صُمٍّ صِلاَبٍ لخشعت وتصدعت من خشية الله كما قال تعالى ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ وقلوب الذين يخشون ربهم

تلين عند سماعه وتقشعر جلودهم وهو أحسن الحديث وأحلاه كما قال تعالى ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هادٍ** ﴾ .

وهذا أمر مشاهد محسوس يعرفه كل من تدبر القرآن ووفق لتلاوته وفهمه والعمل به جعلنا الله وإخواننا من المسلمين ممن يتدبرونه ويعملون به في كل أحوالهم فإنه حبل الله المتين وكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقوله مثل جلمد أي مثل صخر أصم فهذا القلب الذي أعرض عن الهدى وعن تدبر ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى صار بقسوته مثل الصخر الصلب الأصم إذا واظب على درس القرآن وتدبره والتفكر بما فيه من معاني سامية وحكم عالية . أحكام وتوحيد ووعد ووعيد وقصص وأخبار وعبر وآثار وبشارات وإنذار فإنه يلين قلبه وتطمئن نفسه كما حصل لكثير من الصحابة رضي الله عنهم حين سمعوا كلام الله

رقّت قلوبهم ولانت وخالطتها بشاشة الإيمان منهم الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقصّتُهُ إسلامه مشهورة ومنهم جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾ كاد قلبي أن يطير . رواه البخاري . فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه لما سمع هذه الآيات وهو في حال كفره انزعج قلبه وكاد يطير من جوفه لفهمه معناها ، وأن الله تحداهم بأنواع التحدي ، ففي الحال دخل الإيمان قلبه وأسلم من فوره رزقنا الله محبتهم وهدانا إلى طريقهم إنه الجواد الكريم .

(وَحَافِظْ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا
وَخُذْ بِنَصِيْبٍ فِي الدُّجَى مِنْ تَهَجُّدِ)

(وَنَادِ إِذَا مَاقُمْتَ بِاللَّيْلِ سَامِعاً
قَرِيْباً مُجِيْباً بِالْفَوَاضِلِ يَبْتَدِي)

(وَمُدَّ إِلَيْهِ كَفَّ فَقْرِكَ ضَارِعاً
بِقَلْبٍ مُنِيْبٍ وَادْعُ تُعْطَى وَتَسْعَدِ)

قوله وحافظ على فعل الفروض بوقتها . المراد جميع مافرض الله من صلاة وزكاة وصيام وجميع الحقوق الواجبة لله ولعباده . فكل ذلك فرض لازم فيجب على كل أحد القيام به على قدر استطاعته والمحافظة عليه في وقته المحدود فلا يجوز تأخيره عنه بغير عذر شرعي وأعظم ذلك الصلاة التي هي عمود الإسلام وقد ضيعها جملة من الناس فلا حول ولا قوة إلا بالله . وهذه هي المصيبة العظمى والطامة الكبرى . قال النبي صلى الله عليه وسلم «أول ماتفقدون من دينكم الأمانة وآخر ماتفقدون الصلاة فإذا فقد الآخر فأي شيء يبقى» .

وأحوال الناس اليوم متفاوتة تفاوتاً عظيماً في هذه العبادة العظيمة فمنهم من ضيعها بالكلية وهذا على خطر عظيم فإن كان جاحداً لها فهذا لاشك في كفره وخروجه عن ملة الإسلام وإن كان متهاوناً متكاسلاً فبعض العلماء يحكم بكفره وخروجه عن ملة الإسلام

ويستدلون بأحاديث وردت في ذلك . منّ الله علينا بالعصمة والتوفيق والهداية لأقوم طريق . ومن الناس من لا يصليها في وقتها ومنهم من يجمع الوقتين في وقت واحد من غير عذر شرعي ومنهم من ينقرها ولا يستحضر ما يقول فيها . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفعل ذلك ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاث مرات يفعل هذا ويقول له ارجع فصل فإنك لم تصل . حتى قال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك في صلاتك كلها . والقليل من الناس اليوم من وفق لأدائها على الوجه الأكمل المأمور به في المسجد في أوقاتها في الخشوع فيها والطمأنينة فيها في أداء أركانها وواجباتها وسننها على أتم وجه وأكمله وقليل ما هم نسأل الله الهداية والتوفيق . فإياه نعبد وإياه نستعين . وخذ ينصيب في الدجى من تهجد تنل جزاءك الأوفى أحوج ما تكون .

قال الله تعالى ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ فهذا هو الربح العظيم الذي يتنافس فيه ، وفقنا الله لذلك إنه الجواد الكريم البر الرءوف الرحيم .

وناد إذا ما قمت بالليل أي إذا قمت بالليل للتهجد فناد ربك واسأله ما تريد واستغفره فإنه سامع لك قريب منك مجيب لك إذا استجبت له بالقيام بما يجب عليك واجتناب ما نهيت عنه . يقول تعالى ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ وفي الحديث القدسي ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من الذي يسألني فأعطيه من الذي يستغفرني فأغفر له . وقد نوّه الله تبارك وتعالى بالمستغفرين بالأسحار فقال تعالى ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ وقال ﴿ **الصابرين والصادقين والقانتين**

والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ وإذا وفقت وهديت وقمت في هذا الوقت الفاضل المبارك فمدّ إلى مولاك وهاديك كَفَّ فقرك من جميع ما تحتاجه وأعظمها الأعمال التي تقربك إلى مولاك وتنيلك الفوز برضاه ونعيمه وتنجيك من عذابه متضرعاً إليه مستكيناً بين يديه لائذاً بجنابه طالباً فتح بابه لعلك تفوز بنفحة من نفحات جوده وكرمه فإنه يبتدى عباده بالفضائل وهو صاحب الجود والكرم والإحسان فمن لاذ بجنابه نال المنى ومن وقف ببابه حصلت له السعادة والرضى نرجوه تعالى أن لا يحرمنا من فضله بسوء أعمالنا وأن يمن علينا برضاه يوم نلقاه .

ولما ذكر الناظم رحمه الله هذه الوصايا النافعة من طلب العلم وما بعده حذر من السئامة من طلب العلم وحظ على السهر لنيله وتحصيله فقال :

(وَلاَ تَسْأَمَنَّ الْعِلْمَ وَاسْهَرْ لِنَيْلِهِ
بِلَا ضَجَرٍ تَحْمَدْ سُرَى السَّيْرِ فِي غَدِ)

إذا وفقت لطلب العلم فلا تسأم ولا تضجر بل جدّ

واجتهد في طلبه مكباً عليه مثابراً فإنك مع الحرص والنية الصالحة ستنال ما ترجو . وخير ما تدرك في طلبك وأعظمه أن تنال به الجنة التي هي غاية الأماني كما جاء في الحديث من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة . الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين والمراد بحض الناظم على العلم هو العلم الديني الشرعي فهو الذي فيه سعادة العبد وفلاحه إذا عمل فيه بطاعة الله أما العلوم الأخرى فهي بلغة ومتاع في الدنيا .

وقول الناظم : تحمد سرى السير ، هو تشبيه لطالب العلم بالمسافر الذي يكون سيره في الليل فإنه إذا كان في الصباح فرح بقطعه المسافة التي سرى ليله فيها فحمد الله على ذلك ، كذلك طالب العلم كلما فهم مسألة أو باباً من أبواب العلم ابتهج وازداد سروراً واغتباطاً وطمحت نفسه إلى ما هو أعلى وبالله التوفيق ، ثم أوصى رحمه الله بالصبر على الفقر لمن ابتلى به وأن يكون الرضى بما قدر الرحمن درعاً واقياً له عن التسخط والجزع . فقال :

(وَكُنْ صَابِراً لِلْفَقْرِ وَادْرِعِ الرِّضَى
بِمَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ وَاشْكُرْهُ وَاحْمَدِ)
(فَمَا العِزُّ إلاَّ فِي الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَى
بِأَدْنَى كَفَافٍ حَاصِلٍ وَالتَّزَهُّدِ)
(فَمَنْ لَمْ يُقَنِّعْهُ الكفاف فَمَا إِلَى
رِضَاهُ سَبِيْلٌ فَاقْتَنِعْ وَتَقَصَّدِ)
(فَمَنْ يَتَغَنَّى يُغْنِهِ اللهُ والغِنَى
غِنَى النَّفْسِ لاَعَنْ كَثْرَةِ الْمُتَعَدِّدِ)

إذا ابتليت بالفقر فلاتجزع ولاتتسخط واصبر فإنك لاتعلم الخير لنفسك فعسى أن يكون خيراً لك وقوة لإيمانك . قال تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ واجعل الرضى درعك الواقي عن التسخط والجزع فإنهما لايجلبان لك غني ولايدفعان عنك فقراً وإنما يسببان لك الحزن وفوات الأجر وعدم الرضى بقضاء الله وقدره ، فاحمد ربك واشكره على ماقدر عليك واعمل بطاعته تنل كل خير وسعادة وفلاح في الدنيا وفي الأخرى .

قال تعالى ﴿ **من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ ومِنْ لَازِمِ عَمَلِ الصالحات اجتناب المنهيات فوعدهم سبحانه بالحياة الطيبة في الدنيا والجزاء بأحسن أعمالهم في الأخرى . وليست الحياة الطيبة بكثرة المال فإن كثرة المال قد تكون منغصة لصاحبه وإنما الحياة الطيبة في غنى النفس والقناعة بمارزق الله مع العمل الصالح ويُذْكَرُ عن بعض الصالحين أنهم اجتمعوا ومعهم كسرة رغيف يأكلونها فقال بعضهم لو يعلم الملوك مانحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف فهذه في الحقيقة هي الحياة الطيبة وفيها العز الكامل فإن نفس من هذه حالهُ لاتذل إلا لخالقها وباريها سبحانه وتعالى . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

فألزم قلبك القناعة في كل أحوالك فإنها الغنى التام والعز المطلق من جميع الوجوه كما جاء في الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى القلب وفيه أيضاً انظروا إلى من هو دونكم ولاتنظروا إلى من هو فوقكم

فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله وفيه أيضاً طوبى لأمر المؤمن أن أمره كله خير أن إصابته سراء شكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن . وفقنا الله لما يرضيه وجنبنا بفضله وعونه جميع ما يسخطه ويبعدنا عنه أنه ذو الفضل والإحسان والكرم والإمتنان .

ثم حض الناظم على الإخلاص في العلم خاصة وجميع الأمور عامة فقال

(وَلَا تَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ لِلْمَـالِ وَالرِّيَـا
فَإِنَّ مِلَاكَ الأَمْـرِ فِي حُسْنِ مَقْصَدَ)
(وَكُنْ عَامِلاً بِالْعِلْـمِ فِيمَـا أَسْتَطَعْتَهُ
لِيُهْدَى بِكَ الْمَـرْءُ الـذِّي بِكَ يَقْتَـدِ)
(حَرِيْصاً عَلَى نَفْعِ الـوَرَى وَهُدَاهُـمُ
تَنَلْ كُلَّ خَيْرٍ فِيْ نَعِيْـمٍ مُؤَبَّـدِ)

أي لا تطلب العلم لتحصيل المال أو لمرآءات الناس أو لهما معاً فإن الجهل خير من هذا بل هو أعظم الجهل . فقد جاء في الحديث . إنه يجاء بالعالم يوم

القيامة فيقول تعلمت فيك العلم وعلمته فيقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . نعوذ بالله من علم لا ينفع . فإن ملاك الأمر أي فإن الشأن في حسن القصد وإخلاص النية فمن لم يخلص قصده ونيته لمولاه فإن عمله حابط كما قال تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ وإذا اكتسبت العلم فكن عاملاً به بقدر استطاعتك لتنتفع بعلمك وتنفع غيرك ويهتدي بك كل من يقتدى بك واحرص على نفع الخلق وإرشادهم لتنال جزاءك في حياتك الأبدية التي لا نهاية لها ولا انقطاع ولا تجعل العلم وبالاً عليك بعدم انتفاعك به أو ببخلك فيه على غيرك فتخسر الخسارة التي لا عوض لها .

ثم حذر الناظم عن خلقين ذميمين هما أرذل الأخلاق فقال :

(وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ وَالْكِبْرَ تُحْظَ بِالشَّقَاوَةِ فِي الدَّارَيْنِ فَارْشُدْ وَأَرْشِدِ)

إذا نلت هذا المقام الرفيع والطود الشامخ وهو تحصيل العلم النافع فإياك أن تعجب بنفسك وتستكبر على غيرك فإن العلم يحثك على التواضع ولِيْنِ الجانب للحق وللخلق كما هو خلق الأنبياء وأكملهم في هذا إمامهم محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم .

قال الله تعالى ﴿ **وإنك لعلى خلقٍ عظيم** ﴾ تقول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني منازل يوم القيامة الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون » . ولكن إذا عكست الأمر فأُعجبت بنفسك وعلمك وتكبرت على الحق وعلى الخلق فإنك ستحظى بالشقاوة في الدارين في الدنيا بمقت الناس وذمهم لك وعدم الانتفاع بعلمك وقلة البركة في عمرك ، وفي الآخرة بعذاب الله ومقته فقد جاء في الحديث أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم وفي الحديث القدسي إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ **العظمة إزاري والكبرياء ردائي من نازعني في شيء منهما عذبته وفي رواية قصمته** ﴾ ، فاحذر هذه العاقبة

الوخيمة واغتنم بتحصيلك العلم إرشاد نفسك وغيرك بقدر مستطاعك ، وإن هذين الخلقين الذميمين الإعجاب بالنفس والكبر لا يتصف بهما إلا ناقص العقل والدين فاحذرهما أشد الحذر والتوفيق والهداية بيد الله .

يقول ابن القيم رحمه الله :

(وَسَلِ الْعِيَاذِ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالْهَوَى
فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ)
(وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرْقِ
الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلِجَانِ)
(فَتَرَاهُ يَحْجِبُهُ هَوَاهُ تَارَةً
وَالْكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ)
(وَاللهِ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ
هَذَيْنِ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النِّيْرَانِ)

ولا شك أن الإعجاب داخل في الكبر فنسأل الله أن يقينا شر أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه الجواد الكريم .

ولما ذكر هذه النصائح القيِّمة قال إنه بذلها بقدر جهده واستطاعته وإنه مقر بتقصيره في إتباع هذه

النصائح ولكنه يطلب الهداية من مالكها سبحانه وتعالى التي هي هداية التوفيق ، أما هداية الإرشاد فقد بذلها رحمه الله بهذه النصائح الثمينة فقال :

(وَهَا قَدْ بَذَلْتُ النصح جُهْدِي وَإِنَّنِي
مُقِرٌّ بِتَقْصِيْرِي وَبِاللهِ أَهْتَدِي)

فمن وفق للعمل بها فاز بكل مطلوب ونجا من كل مرهوب ، فإنه رحمه الله بذل النصح واجتهد ومع ذلك فهو مقر بتقصيره ولعله أراد الأمرين من التقصير بالنصح ومن عدم القيام بالواجب ولكنه يستعين الله ويطلب منه الهداية وهذه حال الكُمَّل من الخلق لا يرون أنهم قاموا بالواجب مهما كثرت أعمالهم وحسنت لا يعجبون بأنفسهم بل يرونهم مقصرين . رزقنا الله الاقتداء بالصالحين والهداية إلى الصراط المستقيم وجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين برحمته وهو أرحم الراحمين .

(وَقَدْ كَمُلَتْ وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ دَائِماً لَمْ يُصَرَّدِ)

(وَهَذَا انْتِهَا عِقْدِ الْفَرَائِدِ كُلِّه
وَكَنْزِ الْفَوَائِدِ لِلْفَتَى الْمُتَقَصِّدِ)

(تَحَيَّرْتُهُ وُسْعِي وَجُهْدِيْ وَطَاقَتِي
أُحَبِّرُ أَلْفَاظَ الْقَرِيْضِ بِمَرْقَدِ)

(فَخُذْهَا هَدَاكَ اللهُ أَخْذَ مُوَفَّقٍ
لِغُرِّ الْمَعَانِي حَافِظٍ مُتَسَدِّدِ)

(مَسَائِلَ فِقْهٍ وَاضِحَاتٍ لِنَاشِدٍ
بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ رَائِقَاتٍ لِمُنْشِدِ)

(قَصِيْدَةُ عَبْدٍ لَا يَرَى حُسْنَ نَظْمِهَا
نَفُوعاً لَهُ إِنْ زَاغَ عَنْ حُسْنِ مَقْصَدِ)

(فَصُنْهَا عُقُوداً لِلْهِدَايَةِ نُضِّدَتْ
تَفُوقُ عَلَى عِقْدِ الْجُمَانِ الْمُنَضَّدِ)

(أَتَتْ بِاخْتِصَارٍ جَامِعٍ وَبَلَاغَةٍ
تُفِيْدُكَ مِعْنَىً مُطْلَقٍ وَمُقَيَّدِ)

(عَلَيْكَ بِبِكْرِ الْفِكْرِ إِنْ كُنْتَ كُفْوَهَا
وَإِلَّا تَنَحَّ عَنْ ذُرَا الْمَجْدِ وَاقْعُدِ)

ثم إنه حمد الله عند كمالها كما حمده في ابتدائها ، فالحمد لله وحده جلّ جلاله فهو المستحق للحمد

والثناء على كل حال . دائماً مستمراً لم يصرد أي لم يقلل وسمى هذا النظم (عقد الفرائد وكنز الفوائد) وهو للفتى القاصد لعلم الفقه الحنبلي وبين أنه تخيره على قدر وسعه وجهده وطاقته وإنه يكتب نظمه عند نومه وسبب ذلك ماقيل عنه رحمه الله إنه كان يحتطب في النهار ويبيعه ويتزود بثمنه مايصلحه من قوت وورق ومداد ومايحتاج إليه لأنه كان في غاية الفقر كما يدل عليه قوله الآتي (على فاقة مني وفقر نظمتها) ، ثم أرشد إلى أخذها والنظر فيها أخذ موفق لاغافل ولا متعنت لأنها حوت غر المعاني ومسائل الفقه الواضحات بأبيات شعر رائقات وأنها عقود للهداية إلى سبل الرشاد منضدة فائقة عقد الجمان أي اللولو ، وذكر أنه لا يرى حسن نظمها نافعاً له إن لم يكن له نية صالحة وحسن مقصد وهذا يدل على إخلاصه رحمه الله لأن مدار الأعمال كلها على النية وذكر أيضاً إنه نظمها باختصار جامع وبلاغة وإنها تفيد وتوضح معنى المطلق والمقيد من الأقوال أو الأوجه والروايات ، ثم أرشد إلى لزومها والتمسك بها بقوله (عليك) وهو اسم فعل أمر بمعنى

ألزم . فإنها بكر الفكر أي لم ينظم قبلها ولزومك إياها وتمسكك بها إن كنت كفوءاً لها فإنها بليغة في فنها جديرة بالكفء الصالح لها وإن لاتكن من أكفائها فتنح أي أبعد عن ذرا المجد أي أعاليه .. واقعد أي أخلد إلى الكسل والبطالة والخمول . ثم بين المنهج فيها وأنها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني فقال :

(عَرُوساً سَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى حَنْبَلِيَّةً
تَأَزَّرُ بِالنُّـــورِ الْمُبِيْـــنِ وَتَرْتَـــدِي)
(عَلَى رَأْسِهَا تَاجُ الْهُدَى وَحُلِيُّهَا
مَسَائِلُ زِيْنَتْ بِالصَّوَابِ الْمُؤَيَّـــدِ)

يعني أنها بمنزلة العروس التي هي أرغب مايكون للمشتاق وإنها فاقت شمس الضحى التي هي أكمل مايكون نوراً في الوقت المذكور أي فاقت بنورها وحق لها ذلك لأنها مستمدة من المعين الصافي الذي لا كدر فيه ولا شائبة وهما كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد ألبست فوق رأسها تاج الهدى وأما حليها فهو مسائل مزينة بالصواب المؤيد بالدليل وهي منتسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله المجتهد في

نصرة الدين بإحياء السنة وإماتة البدعة ، ولهذا قال :

(إِذَا انْتَسَبَتْ فِي الْفِقْهِ كَانَ اقْتِدَاؤُهَا
لِمُجْتَهِدٍ فِي نُصْرَةِ الدِّيْنِ مُقْتَدِ)

قوله (لمجتهد) كذا هو في النسخ التي اطلعنا عليها ولعله (بمجتهد) ، وقوله مقتدي أي بمن قبله من سلف الأمة الصالحين كالخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر ، ومن سار على نهجهما فإنه أحيا السنة وقاوم البدعة حتى أماتها وصبر على الضرب والحبس والقيود والتهديد فرحمه الله برحمته الواسعة وجزاه خير الجزاء فهو كما قال :

(إِمَامِ الْهُدَى زَيْنِ الثِّقَاتِ ابْنِ حَنْبَلٍ
عَلَى حُبِّهِ فِي اللهِ أُوْدَعُ مَلْحَدِ)

أي سأحبه في الله حتى الممات وإيْدَاعِي في اللحد .

(مُؤَيِّدُهَا الإِلْهَامُ فِيْ حِالِ نَظْمِهَا
وَلَيْسَتْ بِوَسْوَاسِ الْغَوِيِّ الْمُرَعَّدِ)

أي أني ألهمت نظمها إلهاماً وليس بوساوس

كوسواس الغاوي الرعديد الذي لايدري مايقول ، فلهذا كانت أحسن منظراً وأنفع للبيب المسدد من الروضة الغناء التي ذكرها بقوله :

(فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّاءُ بَسْطُ نَبَاتِهَا
تَرُفُّ بِحَافَاتِ الْغَدِيْرِ الْمُجَعَّدِ)

(سَقَى نَشْرُهَا الأَلْبَابَ كَاسَاتِ نَشْوَةً
فَأَطْرَبَهَا نَوْحُ الْحَمَامِ الْمُغَرِّدِ)

(بِأَحْسَنَ مِنْهَا مَنْظَراً أَوْ أَمَارَةً
وَأَنْفَعَ مِنْهَا لِلَّبِيْبِ الْمُسَدَّدِ)

أي أن الروضة الغناء التي طال عشبها وانبسط نباتها حتى كان يرف أي يحوط ويتندى بحافات الغدير أي جوانبه الذي تجعده الرياح فتكون فيه جعود كالحبال فتحسنه بذلك لأن التجعيد مستحسن عند العرب ، ومن حسن هذه الروضة أن نشر نباتها أي ريحه الطيب سقى الألباب أي القلوب كاسات نشوة أي راحة فارتاحت وأطربها نوح الحمام الذي يغرد في هذه الروضة ومع حسن هذه الروضة وغديرها المتوسط منها فليست بأحسن من هذه المنظومة لا في المنظر ولا في

النفع فهذه أنفع للبيب المسدد أي ذو اللب وهو العقل الرزين . المسدد في جميع أحواله وفقنا الله للعلم النافع ونفعنا به إنه جواد كريم .

(دَعَوْتُ إِلَاهِي فِي ابْتِداءِ نِظَامِهَا
فَيَا دَعْوَةً لَاقَتْ قَبُولاً بِأَسْعَدِ)

(دَعْوَتُهُ فِي الإِبْتِدَاء لَعَلَّهُ فِي قَوْلِهِ
وَأَسْأَلُهُ عَفْواً وَإِتْمَامَ مَقْصَدِ)

(بِخَاتِمَةٍ حُسْنَى تُنِيْلُ الْفَتَى الرِّضَى
وَتُبْلِغُهُ فِي الْفَوْزِ أَشْرَفَ مَقْعَدِ)

ثم قال هنا :

(وَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ عِنْدَ اخْتِتَامِهَا
يُقَرِّبُهَا مِنْ كُلِّ فَهْمٍ مُبَلَّدِ)

(وَيَجْعَلُهَا ذُخْراً لَنَا وَلِحَافِظٍ
لَهَا وَلِدَاعٍ يَوْمَ عَرْضِ التَّزَوُّدِ)

سأل ربه أن يقربها من كل فهم بليد أي قاصر عن إدراك العلوم النافعة وأن يجعلها ذخراً له ولحافظها وللداعي له وأن يحصل نفعها يوم عرض الزاد وهي

الأعمال وفقنا الله للتزود لذلك اليوم إنه كريم جواد رحيم بالعباد .

ثم أرشد إلى حفظها وبيّن محاسنها بقوله :

(فَلَا تَرْعَوِى عَنْ حِفْظِهَا فَهِيَ دُرَّةٌ
يَتِيْمَةٌ اسْتَخْلَصْتُهَا فِي التَّنَقُّدِ)

يعني أنها بمنزلة الدرة اليتيمة أي اللؤلؤة الصافية التي لانظير لها فإنه استخلصها في نقدها كصاحب اللؤلؤ الذي يتنقده ويختار النفيس منه وقد سبق قوله عنها أيضاً أنها تفوق على عقد الجمان المنضد ثم طلب من الناظر فيها إن وجد عورة أن يسبل عليها الستر تكرماً وفضلاً وإن وجد عيباً أن يحققه ويصلحه بعد التحقيق فقال :

(فَأَسْبِلْ عَلَى الْعَوْرَاتِ سِتْرَ تَكَرُّمٍ
وَأَصْلِحْ إِذَا حَقَّقْتَ عَيْباً وَسَدِّدِ)

(فَلِلَّهِ ذُوْ عِلْمٍ أَلَمَّ بِهَفْوَةٍ
فَأَوْسَعَهَا صَفْحاً بِعُذْرٍ مُمَهَّدَ)

(وَلَمْ يَتَتَبَّعْ جَاهِداً عَثَرَاتِهَا
بَلَى لِيَهَبْ مَاعَابَهُ لِلْمُجَوِّدِ)

(فَأَيُّ فَتىً يَخْلُو مِنَ الْعَيْبِ وَصْفُهُ
بِذَا اسْتَأْثَرَ اللهُ الْعَظِيْمُ لَهُ اشْهَدِ)

كل هذا يدل على سمو أخلاقه وتواضعه رحمه الله وأنه لم يكمل نفسه كما يفعله المعجبون بأنفسهم ، فطلب ممن وجد هفوة أن يوسعها صفحاً وأن لا يتتبع عثراتها مجداً متجهداً في ذلك ولكن ليَهَبَ الذي عابه منها للجيد فإن الإنسان موضع الخطأ والعيب ولا يخلو من ذلك إلا الله الخالق العظيم فإنه جل جلاله قد استأثر بالكمال المطلق في جميع الأمور دقيقها وجليلها فله الحمد الدائم والشكر والثناء الجميل سبحانه لا نحصي ثناء عليه ، ثم أرشد إلى الصلاة على النبي ﷺ والانتفاع بما تضمنته هذه المنظومة حيث تضمنت من الآداب الشرعية والمسائل الفقهية ما يفوق الوصف كما ذكر ذلك فيما يأتي بقوله (ومخبرها . البيت) فإن الإنسان إذا جد واجتهد مع إخلاص القصد فبمعونة الله يظفر بالخير الكثير والعلم النافع فقال :

(وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّيْنَ وَانْتَفِعْ
بِمَا ضُمِّنَتْ تَظْفَرْ بِخَيْرٍ مُخَلَّدِ)

أي باقٍ لا يضمحل لأن النظم يثبت في الذهن مالا يثبت النثر .

(فَإِنَّكَ إِنْ تَسْتَحْضِرَنَّهَا جَمِيْعَهَا
بِفَهْمٍ وَإِتْقَانِ اللَّبِيْبِ الْمُجَوَّدِ)
(وَطَارَحْتَ أَهْلَ الْبَحْثِ مِنْ فُقَهَائِنَا
وَغَيْرِهِمُ تَسْمُو وَتَرْشُدْ وَتُرْشِدِ)
(فَكَمْ قَدْ حَوَتْ مَعْنىً لَطِيْفاً مُبَيَّناً
وَكَمْ قَيَّدَتْ مِنْ كُلِّ مَعْنىً مُشَرَّدِ)

أي أنك إذا حفظتها جيداً وكنت مستحضراً لها دائماً بفهم ثاقب وإتقان قوي كإتقان اللبيب العاقل المجود المتقن الحافظ للعلوم النافعة وطارحت أي ناظرت من المناظرة وهي البحث في العلوم على سبيل الإرشاد والإسترشاد مع أهل العلم من فقهاء الحنابلة وغيرهم تسمو من السمو وهو الإرتفاع أي ترتفع باستحضار الحجة من هذا النظم فتغلب بحجتك القوية وترشد بنفسك وترشد غيرك لأن هذه المنظومة قد حوت من المعاني اللطيفة البينة وقيدت معاني كثيرة شاردة .

(وَمَخْبَرُهَا يُسْلِيْكَ عَنْ وَصْفِهَا الَّذِي
سَمِعْتَ إِذَا طَالَعْتَهَا يَتَأَيَّدِ)

وليس الخبر كالعيان وليس الشك كاليقين فإنك إذا طالعتها بتأمل ورفق وتدبر فإنك ستجد ما يسليك وينسيك الوصف الذي ذكرته لك فهي جديرة بالإعتناء بها ، والتدبر لما فيها من المعاني اللطيفة والقيود الشاردة ثم ذكر رحمه الله صفة حاله حين نظمها وأنه في شدة فقر وفقدان أولاد وعيش منكد فقال :

(عَلَى فَاقَةٍ مِنِّي وَفَقْرٍ نَظَمْتُهَا
وَفُقْدَانِ أَوْلَادٍ وَعَيْشٍ مُنَكَّدِ)
(لِخَوْفِ عَدُوٍّ أَوْ لِرِزْقٍ مُقَتَّرٍ
يُفَكِّرُ فِي تَحْصِيلِهِ صَافِرُ الْيَدِ)

وكما ذكر في بيت سابق أنه يُحَبِّر ألفاظ القريض بمرقده وقد تقدم ما قيل إنه كان يحتطب في النهار ويبيعه ليتزود بثمنه ما يحتاجه وينظم في وقت جمعه الحطب وقبل أن ينام يكتب ما نظمه في النهار ، وقوله على فاقة هي شدة الفقر ومع شدة فقره فليس له أولاد يكون له منهم العون على طلب الرزق . أما قوله لخوف عدو ...

فلم يظهر لي مناسبتها لما قبلها . ثم ذكر تاريخ ابتدائه بالنظم وانتهائه منه وأنها مدة طويلة يقصر أحياناً لعوارض .

(بَدَأْتُ بِهَا أُولَى جُمَادَيْنِ سَادِساً
وَسَبْعِيْنَ والسِتِّ الْمِئَاةِ فَعَدِّدِ)
(وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ انْقَضَتْ بَعْدَ ظُهْرِهِ
لِسَبْعٍ تَلِي عِشْرِيْنَ مِنْ صَفَرٍ زِدِ)
(وَذَلِكَ فِي الْعَامِ الثَّلَاثَةِ قَبْلَهَا
ثَمَانُونَ وَالسِّتُّ الْمِئَاةُ كَمَا ابْتُدِي)
(بَعِيْدَاتُ بَيْنٍ كَانَ نَظْمِي جَمِيْعَهَا
أُقَصِّرُ أَحْيَاناً لِطَارٍ مُعَدِّدِ)
(فَمَا لِامْرِيءٍ قَلْبَانِ فِي جَوْفِهِ وَلَا
يُؤَاتِيْهِ فِكْرٌ صَادِقٌ مَعْ تَنَكُّدِ)

كانت مدة نظمه ست سنين وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً وقد ذكر السبب لذلك بأنه تشغله الطوارىء المتعددة ولا يلائمه الفكر الصادق مع تنكد العيش وعدم المساعد وليس للمرء قلبان في جوفه كما قال تعالى ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ .

ثم أنه طلب الدعاء له بخير من كل من وقف عليها أي طالعها وتأملها لعل هذا الدعاء يسعده في الأحوال الشديدة والأمور الصعبة . ثم أعاد الحمدَ لله مرة أخرى عند ختمها واتبعه بالصلاة على المصطفى ﷺ وصحبه ومن تلاهم بإحسان واقتدى بهم فقال :

(وَلله حَمْـــدٌ دَائِـــمٌ بِدَوَامِـــــه
يُجَـدَّدُ مَعْ طُولِ الْبَقَـاءِ المُسَرْمَـــدِ)

(وَأَزْكَـــى صَلاةِ الله جَلَّ ثَنَـــاؤُهُ
وَعَـزَّ عَلَـى خَيْـرِ الأَنَـــامِ مُحَمَّـــدِ)

(وَأَصْحَابِـهِ وَالْغُـرِّ مِنْ آلِـــهِ وَمَـــنْ
تَلاهُـمْ بِإِحْسَانٍ بِهِـمْ ظَلَّ يَقْتَـــدِي)

فنسأل الله لنا وله ولوالدينا ولمشايخنا ولمن له حق علينا ولجميع المسلمين الرحمة والغفران ورفعة الدرجات والرضوان والنعيم بفسيح الجنان بمنه وجوده وكرمه وفضله إنه الكريم الجواد المتفضل المنان وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

كتبه الفقير في كل أحواله إلى مولاه

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام

في ٧ رجب المحرم عام (١٤١١هـ)

بيان أخطاء مطبعية في رسالة النصائح الذهبية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨	٥	النّعْمَتَينْ	النّعْمَتَيْنِ
٩	٧	التفوس	النفوس
١١	٦	مُفُسِدِ	مُفْسِد
١١	٧	فيكف	فكيف
١١	١٦	وخالظ	وخالط
١٧	١	مئونة	مئونة
١٧	١٨	وذلك	وذلكم
١٨	١٢	آيانه	آياته
٢٢	١٧	ينصيب	بنصيب
٢٤	١٥	ولا تسمُنّ	ولا تسأمَنّ
٢٦	١٤	غني	غِنىً
٢٨	٢	أن أمره	إن أمره
٢٨	٥	أنه ذو	إنه ذو
٢٨	١٠	مقصدَ	مقصدِ
٣٣	١٢	المنصد	المنضد
٣٣	١٤	مِعَنًى	مَعْنى
٣٨	١٣	ويَجْعُلُها	وَيَجْعَلُها
٣٩	٤	دُرَّةَ	دُرَّةٌ
٣٩	١٦	ممهدَ	ممهدِ
٤١	١	يثبت	يثبت
٤٢	٢	يتأيد	بتأيد

بيان الأخطاء المطبعية في رسالة النصائح الذهبية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٦	آمرأتك	امرأتك
٨	١٦	ياحسرتي	ياحسرتى
٨	الأخير	الخاسرين	الساخرين
٩	٤	ياويلتي	ياويلتى
١٤	١٠	اوتى	أو آتى
٢٠	١٧	بُالفواضل	بِالفواضل
٢٨	٢	أن إصابته	إن أصابته
٢٨	١١	استَطَعْته	استَطَعْته
٢٨	١٥	لمرآءات	لمراءآت
٣١	٦	العياذِ منْ	العياذَ مِنَ
٣٣	٦	لغزٌ	لغُرٌ
٣٣	١٥	كفوءَها	كفؤَها
٣٤	١٢/٤	وإنه / اللولو	وأنه / اللؤلؤ
٣٤	١٦/١٥	إنه / وإنها	أنه / وأنها
٣٥	١٢/٢	كفوءا / وإنها	كفؤا / وانها
٣٧	٦	كاساتٍ	كاساتِ
٤٠	٦	متجهدا	مجتهدا
٤٣	٥	المِئاةِ	المِئَاتِ
٤٣	٩	المئاة	المئات